الدَّرس الثانى
طفولة السيد المسيح وختانه

محتويات الدرس:
- ختان (تطهير) السيد المسيح
- قِصّة سِمعان الشيخ
- قِصَة حنَّة النَّبيّة
- الهروب إلى مصر
- العودة إلى الناصرة

القراءة: متّى ٢، لوقا ٢

ختان السيد المسيح حسب الشريعة

"وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا ٱلصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ ٱلْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي ٱلْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ ٱلرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ ٱلرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ."

سِمعان الشيخ

"وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ ٱسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا ٱلرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى ٱلْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ ٱلرَّبِّ. فَأَتَى بِٱلرُّوحِ إِلَى ٱلْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِٱلصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ ٱلنَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ ٱللهَ وَقَالَ: «ٱلآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، ٱلَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ ٱلشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ». وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: «هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ."

أعلن الله لسمعان الشيخ المُتعبّد فى الهيكل اليهودى عن ولادة المسيح مُخلِّص العالم الذى سوف يكون نورٌ للعالم أجمع.

حَنَّة السيدة المُتعبّدة للرَّب

"وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ، حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ...، وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ، قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، لاَ تُفَارِقُ ٱلْهَيْكَلَ، عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلِبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَارًا. فَهِيَ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ ٱلرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ ٱلْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ."

السيد المسيح ينمو في المعرفة والنعمة

"وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ ٱلرَّبِّ، رَجَعُوا إِلَى ٱلْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمْ ٱلنَّاصِرَةِ. وَكَانَ ٱلصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِٱلرُّوحِ، مُمْتَلِئًا حِكْمَةً، وَكَانَتْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ." (لوقا ٢).

لم تكن هذه الحكمة والنعمة بأي حال من الأحوال معرفةً بالمستقبل أو قُدرةً خارقة، ولكنها كانت معرفةً بالكتب المُقدَّسة ومحتوياتها إذ بدأ السيد المسيح يعلن ويحاجج معلمي اليهود وشيوخهم. وكانوا يتعجبون من هذه المعرفة.

مُقدِّمة

نحن لا نعرف الكثيرعن طفولة السيد المسيح ولكن هناك بعض القصص التي وردت بالأناجيل قد تُعرّفنا ببعض الأمور الهامة عن هذه الفترة من حياته. وهي ثلاثة أمور، على النحو التالي:

١- أنَّ ختانه كان في اليوم الثامن كما هو مطلوب من كل يهودي وذلك لكي يُتمِّم الشريعة الموسويّة.

٢- أنَّه كان خاضعًا لأبويه مريم ويوسف (ولابد أنه كان يعمل مع والده في حرفة النجارة حتى بداية خدمته العلنية).

٣- أنَّه كان ينمو في معرفته الدينيّة وينمو في الجسد والروح والعقل.

وقد كانت نعمة الله ترافقه وكان محبوبًا لدى الجميع.

ختان السيد المسيح:
لوقا ٢
أمر الله إبراهيم بختان كلِّ ذكرٍ بعد ثمانية أيام من ولادته، وذلك علامةً للعهد الذي قطعه الله مع إبراهيم (تكوين ١٢) واستمر أبناء إبراهيم في حفظ هذا التقليد. وبعد ذلك أمر الرب موسى بختان كلِّ ذكرٍ كما سبق فى (لاويين ٢). وكذلك اوصت شريعة موسي أنَّه على كل امرأة أنجبت طفلاً، أن تأتي إلى الهيكل، وتقدِّم تقدِمةً للتطهير بعد أربعين يوماً من الولادة. وهذه التقدمة كانت خروفًا حولياً إذا كانت العائلة من الأغنياء، أمَّا إذا كانت العائلة فقيرة، مثل عائلة المسيح فتُقدِّم زوجًا من الحمام أو اليمام (لاويين ١٢).

وهذا ما فعله يوسف ومريم، ففي اليوم الثامن تم تطهير (ختان) الطفل، وكذلك أُعطي اسمًا كما أمرهما الملاك أنه سوف يُدعى" يشوع" ومنه تأتي كلمة يسوع بالعربية أي "المُخلِّص".
أما باللغة اليونانية التي سجلت كلمات الإنجيل فاستخدمت اسم "إيسوس" الذي أصبح "عيسى" باللغة العربية المُستخدَم في القرآن الكريم.

جاء يوسف ومريم من الناصرة إلى الهيكل في أورشليم لتقديم الذبيحة وأحضرا معهما الطفل "يسوع- يشوع"، ولأنَّهما كانا فقيرين، فقد قدَّما زوجًا من الحمام، وذلك يعلِّمنا أنه لا عيب في أن يكون الإنسان فقيرًا، فقد جاء المسيح وعاش فقيرًا لكي يفدي كل إنسان غنيًا كان ام فقيرًا.

وبذلك قد تمَّمت عائلة السيد المسيح الفرائض والشريعة الموسويّة التي أعطاها الرب لموسى. وفي هذا الصدد لا نريد أن ننسى أنَّ المسيح قد قال "ما جئت لأنقض بل لأتمم"، رغم أنَّه عارض تفسير بعض أوامر الشريعة ووصاياها إلَّا انه قد أعاد الفهم الصحيح لها كما سندرس فيما بعد. أما أتباع المسيح وتلاميذه فقد عرفوا أنَّ الختان هو "العلامة الخارجية" للعلاقة بين الله والإنسان وهى ليست فرضًا أو مطلبًا دينى. ولذلك حلَّت المعمودية محل الختان "كعلامة" خارجية للاعتراف علانية بأنَّ الإنسان يتبع السيد المسيح وهو في عهد مُقدَّس معه وأنَّه تعهَّد بأن يطيع وصايا السيد المسيح وتعاليمه وسوف يسلك بالتقوي كما سندرس لاحقًا. والمعمودية تتم برش الماء بما يشبه اغتسال الإنسان وهي علامة غفران الخطايا والدخول في عهدٍ مُقدَّس مع الله.

تجري المعمودية المسيحية غالبا بيد القسيس أو الكاهن، وذلك بتغطيس الشخص الذي يعتمد فى الماء أو برشه بالماء بعد سؤاله هل يؤمن بالمسيح مُخلِّصًا شخصيا؟ وهل يعد ان يعيش بتقوى فى الزمان الحاضر حتي يوم موته وذهابه الى السماء؟ أمَّا إذا كان طفلًا فتؤخذ التعهدات على الوالدين لتربية هذا الطفل فى تقوي الله كابن للعهد المُقدَّس بين المسيح والكنيسة. وهناك عدة اشكال لكيفية اجراء المعمودية باختلاف الطوائف المسيحية منها التغطيس فى ماء النهر أو فى حوض كبير بالكنيسة أو برش الماء على الرأس.

وقد سُميت إحدى الطوائف بالمعمدانيَّة لأنهم يؤمنون بأنَّ المعمودية للكبار فقط؛ إذ أنَّ الكبار هم الذين يعرفون المعنى الحقيقي للمعمودية وليس الأطفال، فهم لم يتخذوا قرار اتِّباعهم الشخصي للرب. أمَّا معمودية الأطفال لا تعنى خلاصهم الأبدي ولكن تعهد الأباء بتربية أبنائهم في مخافة الرب وحسب وصاياه. ورغم ذلك يوجد كثيرون جداً من المسيحيين لا يتبعون تعاليم المسيح ولا يُمجِّدونه في حياتهم رغم أنَّهم قد اِعتمدوا. ولذلك قررت هذه الطائفة التدقيق في هذا الأمر.

وعندما انتشرت رسالة المسيح بين الشعوب الأخرى غير اليهودية (التي لم تمارس الختان) حدثت مباحثات كثيرة بين أتباع وتلاميذ السيد المسيح بخصوص هذا الأمر وإذ كان الختان غير مُجدٍ في أمر خلاص الإنسان وفداءه الأبدي وعلاقته مع الله (غلاطية ٢- كولوسي ٥) فضَّل أتباعه وتلاميذه ألّا يُثَقِّلوا على الذين آمنوا بالمسيح وبخلاصه من الأمم بتقاليد اليهود وممارساتهم (أعمال ١٥).

وبذلك أصبحت هناك حرية في المسيح أو المسيحية في أمر الختان، وهو متروك للاستحسان الشخصي للإنسان حسب عادات وتقاليد الشعوب وكذلك للصحة العامة للرجال.

وهنا يجدر بنا أن نقول، إنَّه لم ترد أية وصية في الكتاب المُقدَّس عن (ختان البنات) إطلاقًا، ولم يمارس شعب الله هذه العادة في أي وقت من الأوقات. نستنتج من ذلك أنَّ الله قد أعطى المرأة حقها الجسدى في الزواج تمامًا، مثل الرَّجُل، وذلك لأنَّ الله بارك الزواج والعلاقة الجنسيّة. كما كان ذلك لبقاء الجنس البشري وتكاثره؛ إذ أمر الرب عندما خلق آدم وحواء بأن "اثمروا واكثروا واملئوا الأرض." (تكوين ٢).

وقد تكلَّم الرسول بولس عن الختان في (رومية ٣) مؤكدًا أن الختان لا ينفع شيئًا، ولا يؤخِّر أو يُقدِّم في كثيرٍ أو قليل، ولكن الإيمان هو الذي يُبرّر الإنسان، وأنَّ الله سيُبرّر الإنسان الذي مارس الختان (بإيمانه)، وأيضًا سوف يُبرّر الإنسان الذي لم يمارس الختان (بإيمانه أيضًا). وأضاف أنَّ الختان الحقيقي هو "ختان" القلب، ذلك بأن "قطع" المسيح الخطية بموته على الصليب ولذلك صارت المعمودية رمزًا للعهد بين الله والإنسان بدلاً عن الختان.

قصة سِمعان الشيخ وحنَّة المُتعبِّدة

نقرأ هاتين القصتين في الإنجيل بحسب البشير لوقا (٢) بعد أن سرد قِصّة ختان المسيح وتقديم التَّقدِمة (زوج من الحمام) في هيكل الرب.

وتخبرنا القصة بأنَّ هنالك شيخًا تقيًا متعبدًا لله قد أعلن الله له (بالروح القدس) أنه سوف لا يرى الموت قبل أن يرى السيد المسيح، الذى سوف يفتدي العالم، وقد تحقَّق ذلك وفرحَ لتحقيق هذا الرجاء الذى كان ينتظره رجال الله في كل العصور بحسب وعد الله، وقال سمعان "الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام جميع الشعوب". أي أن هذا الخلاص سوف يكون لكل شعوب العالم، وليس فقط لشعب إسرائيل .

وبرغم أنَّ هذا الخلاص جاء من بني إسرائيل، إذ كان السيد المسيح يهودي الأصل، إلَّا أنَّ كثيرًا من اليهود قد رفضوه ولم يقبلوه لانهم لم يشاءوا أن يؤمنوا بذلك المسيح الذي سوف يملك على قلوب البشر. كانوا ينتظرون ملكاً أرضياً يجعلهم أسمى من كل الشعوب ويُحرِّرهم، فهم يريدون مملكة أرضية لا ملكوت السموات.

أيضًا تنبَّأ هذا الشيخ التقي بأنَّ القديسة مريم سوف "يجوز في قلبها سيفٌ" أي أنها سوف تتألم لآلام الابن المسيح على الصليب ومعاملة الرافضين له. ولا حاجة لنا أن نصف آلام الأم وهي ترى ابنها يُجلَد ويلبس إكليلاً من الشوك ثم يُصلَب.

أمَّا القصة الثانية، فهي قصة حنَّة النبية التي فرحت عندما رأت الطفل بين ذراعي أمه. وسبَّحت الله وتكلَّمت عنه لأولئك الأتقياء من شعب اليهود أو من الشعوب الأخرى الذين تواجدوا في الهيكل لتقديم الذبائح والقرابين لله، المنتظرين مجيئة.

وبتلك القصتين اللتين ذكرهما البشير لوقا أكَّد حقيقةً هامة أنَّ هذا هو المسيح الذي سوف يأتي ولن يكون مُخلِّصًا لإسرائيل فقط لكن لكل بني البشر الذين سوف يؤمنون به. وأنَّ الخلاص لجميع الناس، وليس قاصرًا على شعب إسرائيل، وأنَّ فيه (أي في اسم السيد المسيح) سوف تتبارك كل قبائل الأمم.

لماذا اختار الله شعب إسرائيل؟

لم يختر الله شعب إسرائيل ليكون "شعبه المختار" من أجل تقواه، أو لأنَّه أفضل من باقي الشعوب، بل على العكس تمامًا ، فقد اختار الله شعب إسرائيل برغم قسوة قلبه وعدم طاعته، إذ قال عنهم إنَّهم "شعب صلب الرقبة" وغير مطيعين لإرادة الله و"شعب ثقيل السمع"، لكن برغم ذلك فقد اختاره لكي يكون بركة ونعمة للشعوب الأخرى، ولكى يتمجد الله من خلالهم، إذ سوف يأتي من بينهم السيد المسيح الذي سيعطي الفداء والكفارة، ولكي يكون مثلاً للشعوب الأخرى في الخضوع لله وفي محبته.

وعندما ندرس الكتب المقدسة نجد أنَّ الله قد تعامل مع كثيرين من غير اليهود من الشخصيات التي ذكرها الكتاب المقدس مثل أيوب، وراعوث التي جاء من نسلها المسيح، وكرنيليوس الجندي الروماني، والوزير الحبشي وغيرهم.

وعندما جاء السيد المسيح، كان من المتوقع أنَّ أول من سيؤمن به هم شعب اليهود، ولكنهم رفضوه بل أيضًا قتلوه، ظانين أنهم سوف يقدمون بذلك خدمة لله للحفاظ علي تقاليدهم وأساليب حياتهم. ولكن أول من قبل الإيمان بالمسيح كانوا تلاميذه، وهم أيضًا من بين شعب اليهود، وصاروا بركة ونعمة للشعوب الأخرى، وقد استخدم الله أول تلاميذه في نشر رسالة الإنجيل أولًا الى المعابد اليهودية حيث ذهب الرسل الأوَّلون... وهناك قابلوا يهودًا فى تلك المعابد منهم الأتقياء الذين صدَّقوا أنَّ هذا هو المسيح (أي الممسوح) الذي وعد به الله منذ القديم. وكان تلاميذه واثقين ومحاجين أن المسيح قد جاء، فآمن البعض ورفض البعض. ولكن للأسف لم يسمح الذين رفضوا رسالة المسيح للذين آمنوا بالسيد المسيح بالاستمرار في العبادة في الهيكل، ولكن طردوهم، وحبسوهم، وسجنوهم، وقتلوا الكثيرين منهم (أعمال ٧). لذلك كان لابد أن تتكون الكنيسة (وهي جماعة المؤمنين) بعيدًا عن المعابد اليهودية مجتمعين أولاً في المنازل، ثم صار لهم دورعبادة بعد أن استقرت بهم الأحوال وبعد أن دفع أتباع المسيح ثمنًا باهظًا لنشر رسالة الخلاص. وكان الثمن في الكثير من الأحوال هو بذل حياتهم. ويُعرِّفنا التاريخ أنَّ جميع تلاميذ المسيح الذين اختارهم قد استشهدوا في سبيل نشر هذه الرسالة.

الهرب إلى مصر

(إقرأ متّى ٢: ١٣ - ١٥)

"وَبَعْدَمَا ٱنْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «قُمْ وَخُذِ ٱلصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَٱهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ ٱلصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». فَقَامَ وَأَخَذَ ٱلصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَٱنْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ ٱلرَّبِّ بِٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ٱبْنِي»."

يظن المفسرون أنَّ يوسف ومريم والطفل يسوع قد أتوا إلى مصر وهو ما دون السنتين أو الأربع سنوات، وذلك هربًا من الأمر الذي صدرعن الملك هيرودس إذ أراد أن يقتل جميع الأطفال الذكور ما دون السنتين، وبذلك يضمن القضاء على من يمكن أنن يصبح ملكاً. والذى من أجله جاء المجوس (حكماء المشرق) لكي يسجدوا له كملك وبذلك لا يكون هنالك من ينافسه أو ينافس أبناءه على عرش المملكة. وبذلك تحققت النبوة بأنَّ "راحيل" وهو اسم زوجة إسحاق في إشارة إلى بنات اليهود، سوف يبكين أولادهن وسوف يُسمع في بلاد اليهودية صوت العويل والصراخ (إرميا ٣١) كما درسنا سابقًا.

لابُدَّ أنَّ هذا الأمر قد حدث فجأةً، فلم يتمكن أحد من الهروب أو الإفلات من ذلك الغضب، ولكن العناية الإلهية حفظت حياة السيد المسيح لإتمام الغرض منها وهو تقديم الخلاص الأبدي. وبذلك تحققت النبوة التي تقول "من مصر دعوت إبني" (هوشع ١١: ١).

وليس معروفًا كم من الوقت قضاه السيد المسيح في مصر، ولكن في الأغلب كانت فترة لا تتجاوز خمس سنوات، عاشتها العائلة المقدسة في سلام وهدوء حتى في ظل عدم وجود يهود في المنطقة بسبب كرم المصريين ومحبتهم للغرباء. ويسجل التاريخ أنَّه قد جاء كثيرون من اليهود إلى مصر بعد سنة ٧٠م أي بعد موت المسيح بسبعين سنة للعيش فيها بعد هدم الهيكل وعاشوا واستوطنوا الديار المصرية لمئات السنين. وبهذا نعرف أنَّ العائلة المُقدَّسة عاشت في سلام بين المصريين الذين استضافوهم وأكرموهم وفتحوا لهم قلوبهم.

العودة إلي الناصرة

ولما مات الملك هيرودس (الذي يحكي التاريخ أنَّه كان ملكاً قاسياً)، ظهر ملاك الرب ليوسف في حلم أن يأخذ الصبي المسيح يسوع وأمه ويعود إلى "الناصرة"، وبذلك تحققت النبوة أنه "سيدعي ناصريًا" (أي من مدينة الناصرة) (إشعياء١١: ١). وبعدما عاد من مصر سكن فى الناصرة. وكانت مدينة الناصرة قريبة من مدينة أورشليم وهي مدينة متواضعة وليست مدينة الملوك أو الأغنياء ولكن كانت مدينة التجارة، وكثر فيها الفساد والسرقة والاحتيال. ولذلك قال أحد تلاميذ المسيح عندما دعوه لأول مرّة لكي يأتي ليرى المسيح الذي من الناصرة، قال "هل من الناصرة يمكن أن يخرج أي شيء صالح." (يوحنّا ١:٤٦). يُعلِّمنا ذلك أنَّ الله قد يدعونا للذهاب إلى مدينة مشهورة بالفساد، لكي نكرز بصلاحه، وأيضًا نستطيع أن نعيش كأولاد لله، في وسط مدينة فاسدة كثيرة الشرور وأنَّ الله له من يتبعونه حتى في أكثر البلاد فسادًا.

السيد المسيح ينمو ويتقوى في الروح والنعمة

(اقرأ لوقا ٢: ٣٩ – ٥٢)

"وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ ٱلْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ ٱلْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا ٱلأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا ٱلصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ ٱلرُّفْقَةِ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ ٱلأَقْرِبَاءِ وَٱلْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي ٱلْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ ٱلْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ ٱلَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ ٱنْدَهَشَا."

لم يناهز السيد المسيح عمر الثانية عشرة بعد عندما صعد إلى الهيكل مع أبواه وكان يناقش ويتباحث مع المُعلّمين اليهود. وغالبًا ما كان يصعد إلى الهيكل في أحد الأعياد الهامة مثل عيد الغفران أو عيد الفصح، ولابُدَّ أنَّه كان يصعد مع عدد كبير من الرجال والنساء والأولاد إذ ربما ظن أبواه أنه كان مع الطرف الآخر حتي حان موعد الرحيل ففوجئوا بعدم وجوده معهم ولذلك بدأوا بالبحث الجاد عنه. وأخيرًا وجداه في الهيكل بعد البحث مدّة ثلاثة أيام. ولابد أن المسيح كان يحاجج علماء اليهود في أمر مجيء المسيح والفداء والكفارة ومن هو المسيح وما هو الغرض من مجيئه حسب النبوات التي وردت في التوراه والأسفار المُقدَّسة الأخرى. وبذلك نعرف أنَّه كان يفهم الكتب المُقدَّسة التي قد أخطأ كثيرون من المعلمين اليهود في تفسيرها، بل جعل المتشددين منهم يضيفون الوصايا والفرائض على شعب الله، أو يفسرون الوصايا حسب مفاهيمهم الخاطئة. وإذا كانت نعمة الله عليه ومن

أجل فهمه الجيد للأمور الروحية أصغى له المُعلِّمين رغم صغر سنه. ولذلك فلا محدودية في السن لمعرفة الله، فيستطيع كلُّ إنسانٍ أن يقترب من الله برغم حداثة سنه.

ويجب أن نعرف أنَّ هذه المعرفة بالأمور الروحية لم يستخدمها السيد المسيح في إعلان ما سيحدث في المستقبل، أو فِعْل أية معجزة من المعجزات التي ذكرها الكتاب المقدس عنه فى طفولته. ولكن الكتاب المقدس يُعلِّمنا أنه كان عارفًا بالكتب، وليس صانعًا للمعجزات مثل الحاوي أو الساحر.

ولا يخبرنا الكتاب المقدس أنَّه قد تكلَّم في المهد قبل سن الوعى والفهم الطبيعي الواردة في بعض الأناجيل المنحولة مثل "إنجيل الطفولة العربى". أمَّا عمل المعجزات فحدث منذ بداية خدمته إلى نهايتها للأخبار عن شخصيته ورسالته ولتأكيد هذه الرسالة.

وفي هذه القصة التي يرويها لوقا البشير أنَّ والداه ظلا يبحثان عنه مدّة ثلاثة أيام، وإذ كان أحد المصادر الهامة التي استقى منها لوقا البشير معلوماته هي السيدة العذراء مريم نفسها، فلابد أنها كانت تحكي القصة بمشاعر أمٍ ضاع ابنها لمدة ثلاثة أيام، وهي تبحث عنه بما وصفته العذاب – وكان أهم تعليق عندما وجداه، وكانت هذه الكلمات ترن في أذني أم السيد المسيح، ما قاله السيد المسيح "ألا ينبغي أن أكون فيما لأبي".. فهي تعرف جيداً وهى من أكثر الناس إدراكاً وإيماناً بمن هو الآب الحقيقي للسيد المسيح، ألا وهو الله الآب الذي أرسل روحه القدوس إذ حل عليها وصارت حبلى وأنه "ابن العلي" يدعى.

ومن الأمور الهامة التي يذكرها الإنجيل أنَّ السيد المسيح كان خاضعًا لأبويه ومطيعًا لهما وكان يوسف أبيه يعمل في مهنة النجارة ولابُدَّ أنَّ السيد المسيح كان يعاونه. ولم يذكر الإنجيل أي شئ عن يوسف بعد ذلك ما يجعلنا نستنتج أنَّه قد توفي. ولابُدَّ وأنَّ السيد المسيح قد عرف الكثيرعن الرومان وعن الظلم الذي وقع على اليهود من جراء هذا الاحتلال من خلال معاملاته اليومية مع الشعب ومع جنود الرومان.

الملخص

كان السيد المسيح يعيش حياة طبيعية كإنسان كامل، فكان ينمو في القامة وأيضًا في النعمة عند الله والناس. فكان يتعلَّم الكتب المقدسة فلابُدَّ وأنَّه قد تعلَّم قراءة اللغة العبرية كأي شاب يهودي لكي يقرأ التوراة. كما نعرف من الأناجيل أنَّه عند بداية خدمته في سن الثلاثين تقريبا، قد دُفِع له السفر ليقرأ في الهيكل كما ورد فى إنجيل لوقا وأنَّه قد قرأ من سفر إشعياء.

نعرف أيضًا أنه قد قضى فترة هادئة في مصر هربًا من بطش الملك هيرودس، ثم عاد به أبواه إلى مدينة الناصرة إذ تربى فيها وكانوا كاليهود الأتقياء الذين يذهبون إلى مدينة أورشليم لكي يقدموا الذبائح والقرابين في هيكل الرب، وكان السيد المسيح يذهب مع عائلته. يخبرنا الكتاب المقدس أنَّه كان خاضعًا لأبويه، إذ أن الخضوع للوالدين له الكثير من البركة ، حسب ما ورد فى الوصايا العشر (أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض) (خروج ٢٠). لابُدَّ وأنَّه كان يعمل فى مهنة النجارة وذلك يُعلِّمنا أنَّه لا توجد أي غضاضة في مزاولة مهنة ما، وأنَّه كان إنسانًا كاملًا يمر بجميع مراحل النمو الطبيعية وكذلك كان ينمو فى معرفة الكتب المقدسة، ولذلك يجب أن نتعلَّم كيف ننمو فى إتقان مهنةٍ ما ولكن فوق الكل يجب أن يحرص الجميع على النمو في معرفة الله والكتب المقدسة فقد قال السيد المسيح "تضلون إذ لاتعرفون الكتب."

ملخص عام لمراحل حياة السيد المسيح

1- وُلِد المسيح في بيت لحم
2- سافر الي مصر في سنٍ صغيرة
3- عاد الي بلدة أبيه الناصرة قرب أورشليم وعاش فيها أغلب سني حياته
4- كان يصعد، مثل كثيرٌ من اليهود، إلى مدينة أورشليم في الأعياد (في الغالب صعد إلى أورشليم ثلاث مرّات في عيد الفصح)
5- عندما بدأ خدمته في حوالي الثلاثين من عمره، سكن في مدينة الجليل شمالًا
6- تجوَّل بين مدن وقرى اليهودية كارزًا ببشارة الملكوت وكان يصعد إلى هيكل أورشليم لتقديم ذبيحة الفصح.
7- عاد إلى أورشليم وهناك واجه رؤساء الكهنة والشعب، وهناك أيضًا قد مات
8- قام من الأموات وصعد من جبل الزيتون

وسوف نشرح مراحل خدمة السيد المسيح بأكثر تفصيلًا فيما بعد.

أسئلة

هذه الأسئلة هدفها تلخيص الدرس وليس بالضرورة أن تتعلق بمعتقداتك أو إيمانك الشخصي.

1- اِختتن السيد المسيح وهو في عمر الثمانية أيام.

نعم لا

2- أراد الملك هيرودس قتل المسيح في المهد لكي لا يكون هنالك ملك آخر وكانت هذه أول محاولة لقتل السيد المسيح.

نعم لا

3- هرب يوسف ومريم والطفل يسوع إلى مصر من بطش هيرودس الملك.

نعم لا

4- عاد السيد المسيح إلى مدينة الناصرة بعد أن ظهر ملاك الرب ليوسف آمرًا أياه أن يعود إلى الناصرة وبذلك تحققت النبوة أنه سيُدعى ناصريًا.
نعم لا

5- سرد البشير لوقا قِصّة سِمعان الشيخ وقِصّة حنَّة النبية لكي يوضح أنَّ الخلاص لم يكن لليهود فقط، وكان لوقا آنذاك يعمل في الكرازة مع الرسل الآخرين كارزين للأمم الأخرى مِن غير اليهود.
نعم لا

6- سَرَدَت الأم القديسة مريم قصة ضياع ابنها متذكرة ما قاله المسيح: "ألا ينبغي أن أكون فيما لأبي" وذلك لأنها تعرف أنَّها حبلت به من روح الله القدوس.
نعم لا

7- حسب ما ورد في الكتاب المقدس لم يفعل السيد المسيح أية معجزة في طفولته وذلك لأن المعجزات كانت تدعم خدمته وليست هدفًا في حد ذاتها.
نعم لا

8- حسب ما ورد في الكتاب المقدس، كان السيد المسيح يعرف الكتب المقدسة منذ صباه.
نعم لا

9- المعمودية هي الإعلان عن الإيمان المسيحي وعلامة العهد بيننا وبين الله وهي البديل الطبيعي للختان الذي كان في العهد القديم.
نعم لا

10- كان السيد المسيح يذهب إلى أورشليم في صباه في الأعياد لكي يقدم مع عائلته القرابين والذبائح.
نعم لا

هذه الصور للتوضيح

السيد المسيح يُحاجِج مُعلِّمي اليهود.

سِمعان الشيخ يحمل السيد المسيح وهو طفل.

هيكل أورشليم أيام السيد المسيح.

كان للهيكل مكانة خاصة عند اليهود لأنه محور العبادة. ولارتباط الدين بحياة الشعب اختلطت السياسة بالدين وبالمنافع الشخصية والتجارة والإتجار في الدين. فصار الهيكل مكان الإتجار بالعملة وبيع الذبائح لصالح رؤساء الكهنة، فأصبحت الديانة ماديَّة وجهلاً مطبقاً . أمَّا السيد المسيح فأراد أن يعيد الهيكل إلى القصد الأول الذي بُني من أجله وهو العبادة. لذلك غضب المسيح وأخذ حبلاً وفتله وطرد باعة الذبائح وقلب موائد الصيارفة وطردهم من الهيكل قائلاً لهم: "بيتى بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (متّى ٢١، يوحنّا ٢). ومنذ ذلك الوقت طلب رؤساء الكهنة الفرصة ليقتلوا المسيح ويتخلصوا من معارضته .

وعندما نعود الى البداية نجد أنَّ الملك سليمان بني الهيكل (الأول) للعبادة وقدَّس الله الهيكل وباركه وصاغ الرب أسلوب وطريقة تقديم الذبائح وجعل كل شئ بنظام وترتيب. ولكن عندما زاغ شعب إسرائيل عن وصايا الله أرسله الرب أو سمح الله بالسبي وهدم الملك نبوخذنصر الهيكل وسبى بني إسراذيل إلى بابل. ويستمر السبي مدة سبعون سنة وأخيراً بدأ شعب الله يعود الى أورشليم بقيادة قادة مثل نحميا وعزرا الكاهن وآخرين، وهم الذين أعادوا بناء المدينة ثم الهيكل (الثانى) بهدف العودة الى الرب والخضوع له مرة أخرى.

وتستمر القصة الطويلة لشعب الله إلى أن وقع فى يد الرومان الذين حكموا البلاد اليهودية بقبضة من حديد وكان استعمارًا ظالماً، فتطلَّع اليهود إلى من يُحرّرهم. وبالطبيعة عندما يواجه شعب الذل والصعوبات يلجؤون إلى الكتب المقدسة ليعرفوا كيف ومتى ينتهى هذا الألم ولكي تبعث فيهم الأمل والرجاء. وإذ كان مجئ المسيح (أي الممسوح) محور النبوات أدرك اليهود أنَّ خلاص إسرائيل السياسي والمادي سيكون علي يد المسيح الذي سوف يُرسل من الله، ولكنهم لم يفهموا أنَّه جاء لهدفٍ أسمى وأعلى، ألا وهو فداء العالم أجمع حيث يملُك على القلوب لا العروش الأرضية .